مقدمة:.....

أولا– المنطلقات الفكرية التي شكلت الرؤية السياسية للشيخ عبد العزيز الثعالبي. (04ن)

يعتبر الثعالبي من أكبر زعماء الإصلاح والسياسة في تونس والعالم العربي الإسلامي، وقد اجتمعت في شخصيته روافد شديدة التنوع مازجا فيها الفكر الإصلاحي العقلاني الذي شيده أستاذه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ، المبادئ الفرنسية وفلسفات الأنوار، فكان رغم تكوينه التقليدي متفتحا على الحداثة متصلا بأعلام الفكر والإصلاح والسياسة في العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي ، مطلعا على تيارات الإصلاح ومدارسه فضلا عن تأثير القومية التركية. تنضاف إليها التجارب والمحن التي كانت محكا لشخصيته ومصدرا لتفكيره وتأملاته، ودافعا على تثبيت مواقفه . اغترف الرجل من هذه المصادر على تضارب مرجعياتها وطابق بينها، يساعده في ذلك ترحاله الذي شمل العراق وتركيا ومصر وسوريا وفرنسا وغيرها من البلدان، حيث تجاوزت رحلاته من الزمن عشرين سنة متقطعة؛ حيث أتاحت له أسفاره تجارب وسعة اطلاع. كان لزيارة الشيخ محمد عبده لتونس 1903م والخلاف الذي استشرى بينه وبين جمال الدين الأفغاني أثره على فكر الثعالبي. وقد أتاح له رصيده الفكري ونضاله السياسي تبوأ مكانة متميزة في تونس؛ وفي الأقطار التي أقام بها لاجئا.

ثانيا – دور الشيخ الثعالبي في الحركة الوطنية التونسية (10ن):

ظهرت أفكار الثعالبي التجديدية في فترة مبكرة، من خلال إصدار جريدة + **في سبيل الرشاد** " سنة 1895م؛ التي لم تعمر طويلا.. وفي سنة 1902م عاد الثعالبي إلى تونس يحمل أفكارا جديدة وتصورات مبتكرة عن التطور الفكري والاجتماعي؛ وعلاقة الدين بالمدنية الحديثة.. وأودع في جويلية 1904م السجن لمدة شهرين.. انضم الثعالبي إلى **حركة الشباب (حزب الشباب التونسي)** وكان أحد الأعضاء المؤسسين لها عام 1907م، فعهد إليه بتحرير النشرة العربية لجريدة التونسي Le Tunisien عام 1909م المتأثرة بتركيا الفتاة والتي طالب فيها بفتح الحوار مع السلطات الفرنسية واحترامهم معاهدة الحماية ، إذ أصدرت الجريدة في 07 فيفري مقالا للشيخ عبد العزيز الثعالبي يبين فيه مبدأ الحركة السلمي الإصلاحي التوعوي الهادف إلى تحقيق التعايش بين التونسيين والفرنسيين في ظل نظام الحماية بشرط المساواة في المعاملة... وبانضمامه إلى حزب الشباب أصدر جريدة الاتحاد الإسلامي 1911/10/19م (صدر منها 06 أعداد إلى غاية 1911/11/06م) التي أشهرها ضد الفساد والسياسة والمفاسد الأخلاقية والقضايا الاجتماعية...

أول ما برز الثعالبي قائدا شعبيا تلتف حوله الجماهير، كان يوم أعلنت ايطاليا الحرب على تركيا سنة 1911م ونزلت قواتها في ليبيا، فقد سخر قلمه ولسانه للدفاع ضد الغزو؛ وشد أزر المقاومة، وتعاون مع القادة الأتراك؛ حيث جعل من الإتحاد الإسلامي الناطق شبه الرسمي لنضال وعواطف تونس، وأشرف على صندوق تبرعات وطني لمد الكفاح الليبي. أشرف على تحرير النشرة العربية لجريدة **' التونسي'** وصحيفة **الإتحاد الإسلامي**.وقد برزت قدرة الثعالبي على العمل السياسي المباشر في مناسبتين، أولهما: **إضراب طلبة الزيتونة** 15 مارس 1910م، عندما وقف خطيبا في صفوفهم يحثهم على التمسك بمواقفهم، حيث ألقى كلمة في بطحاء الصادقية انتقد فيها تحجر قسم من المدرسين، وتأسف من فقدان دروس الفلسفة والماورائيات، وانعدام الاجتهاد في تفسير القرآن...وكان كان النجاح الكبير من نصيب الثعالبي في هذا الاجتماع الشعبي. وثانيا: أحداث **الزلاج(07–08 نوفمبر 1911م)** التي تقول التقارير الفرنسية في شأن اندلاعها، أن الثعالبي كان ضالعا فيها؛ يحث الناس على التجمهر أمام المقبرة يوم الواقعة. ويفسر هذا الموقف قرار الإبعاد إلى فرنسا؛ الذي صدر ضده بعد ذلك بأشهر (مارس 1912) بمناسبة **مقاطعة الترامواي**، وإقدام الحكومة على غلق الصحف والمقاهي الشعبية، وهكذا اضطر الثعالبي للإقامة بالخارج متنقلا بين أقطار عديدة، فقد ذهب إلى استانبول ثم عاد إلى فرنسا، وما لبث أنقام برحلة طويلة في بلدان الشرق، ولم يرجع إلى تونس إلا سنة 1914م حيث استأنف نشاطه السياسي.

وبانعقاد مؤتمر الصلح (باريس)، نجح الثعالبي –الذي أرسل لمساعدة أحمد السقا الذي لم ينجح في مهامه لتقديم تونس– في مهمته نجاحا منقطع النظير بالدعوة لقضية تونس وحشد الرأي العام العالمي حولها، ولم يجد مجالا ينفذ منه إلى الرأي العام الفرنسي إلا ولجه فقد اتصل بالزعماء الاشتراكيين ووثق عرى الصداقة معهم؛ فقد ربطته صداقة حميمة مع زعيم الاشتراكيين **مارسيل كاشان** الذي مكنه من عرض القضية على مجلس النواب، كما تقابل مع **بومارشي** رئيس مدير الشؤون الإفريقية، وتمكن أيضا من الاجتماع بلجنة حقوق الإنسان التي وعدت بالاهتمام بالمسألة التونسية، ونظم الاجتماعات وكتب المقالات،وأسس وترأس **جمعية الطلاب التونسيين**، كما أسس مع الأستاذ شارل جيد **الجمعية الفرنسية التونسية**...فقام **الثعالبي** بنشاط كبير في باريس من أجل القضية التونسية.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، اقترن اسم الثعالبي بتأليف كتاب **تونس الشهيدة** دون توقيع الذي يعتبر أول ميثاق للحركة الوطنية فنجح نجاحا منقطع النظير، وعمل على تعميمه في حنكة ومهارة، أرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا من وزراء ونواب وموظفين كبار؛ وإلى المحافظات الفرنسية، وتمكن بوسائله الخاصة من إيصاله إلى تونس واستلهمه الناس في كتابة العرائض التي تحمل آلاف التواقيع للباي وللمقيم العام، وعلقت عليه الصحف واقتطعت منه الصحف الحرة مقاطع كثيرة نشرتها..... وكتاب تونس الشهيدة هو بمثابة بيان سياسي موجه للفرنسيين يقدم صورة واضحة عن الاستعمار في الإيالة التونسية. كما أسس **الحزب الحر الدستوري التونسي** في 14 مارس 1920م الذي طالب بتكثيل الأهالي في المجالس وإنشاء دستور بقبول الباي وحق الإشراف عليه تحت الراية الحسينية، حكومة مسؤولة أمام البرلمان المنتخب من طرف التونسيين وكذلك المطالبة بالمجالس المحلية والغرف التجارية والفلاحية وعدم قيام الجيش بالحروب ما عدا التي تتوافق مع الدستور التونسي.و للدفاع عن برنامجه، تحول إلى فرنسا للاتصال بأقطاب الفكر والسياسة وشرح القضية التونسية، كانت الضجة أكثر مما يطيقها المعمرون والإدارة الاستعمارية، الشيء الذي دفع السلط الفرنسية إلى إيقافه وإحالته على المحكمة العسكرية بتونس بتهمة التآمر على أمن الدولة... لما خرج من السجن بعد صدور قرار بمنع محاكمته في أيار عام 1921م بات الزعيم، وأطلق عليه الناس لقب **سعادة الرئيس**.

كان الثعالبي يشرف على عقد الاجتماعات والتنظيمات السياسية للحزب والمحاضرات لتوضيح برامجه ومواقفه من القضايا المحلية والدولية، كما ظل يدافع عن القضايا الوطنية غير العادلة منها مسألة التعويضات العائلية لدى الأهالي كما وسع علاقات التعاون مع الجزائريين ومنهم صالح بن يحي... أثقل الجو على الثعالبي وأحس للمرة الأولى باليأس، فاضطر إلى الخروج من تونس من جديد في سنة 1923م، والإقامة بالشرق العربي. ، حيث اتصل بالملك فيصل بالعراق؛ وعلي عبد الرزاق بمصر و الحاج محمد أمين الحسيني بفلسطين، وقد دعاه هذا الأخير لحضور المؤتمر الإسلامي، وكلفه بالتحضير له؛ فوضع نظامه وسهر على المنفذين دائبا على نجاحه في سنة ديسمبر 1931م، وفي 09 جويلية 1937م عاد الثعالبي إلى تونس، بعد أن انقسم الدستوريون في **مؤتمر قصر هلال** في 02 مارس 1934م الانقسام التاريخي المشهور وتحول القيادة إلى الرئيس الحبيب بورقيبة،.... حيث قطع الثعالبي زيارته إلى الصين وعاد إلى البلاد التونسية يوم 08 جويليه 1837م بعد غياب منذ أوت 1923م، وشرع في ربط علاقات **المصالحة بين طرفي الصراع والتمهيد للتوفيق بينهما...إلا أن مساعيه لم تأت بطائل .فتوجه الثعالبي بنداء للأمة التونسية؛** بين فيه فشل مساعيه للم الشمل ورأب الصدع بين الفريقين؛ في ظل العناد والسعي لتمزيق وحدة الأمة وتشتيت كلمتها ، حيث رأى من الضرورة إذاعة هذا البيان على الأمة لترى رأيها فيما حدث...وبذلك فالنداء الذي نشره الثعالبي لم يحدث إلا بعد فشل الحلول التوفيقية ومساعي الوساطة بين الطرفين المتخاصمين، وما لاحظه من تصرفات من طرف جماعة الديوان السياسي، لذلك لم يتأخر في كشف وفضح تلك الجماعة المنشقة التي كان يقودها الحبيب بورقيبة...وانحسرت موجة الثعالبي انحسار الأمواج عن الشاطئ، حيث توفي بتونس في أكتوبر 1944م، ودفن بمقبرة الزلاج.

إلى جانب حراكه السياسي في إطار الحركة الوطنية ؛ قام الشيخ **الثعالبي بنشاط صحفي رائد، حيث** كتب في العديد من الصحف العربية داخل تونس وخارجها وساهم فيها بشكل أو بآخر، وهذا دفاعا عن القضية التونسية؛ ومن أشهرها: البصيرة، المبشر المنتظر، سبيل الرشاد، بريد تونس، التونسي، الإتحاد الإسلامي، الفجر، الإدارة، المؤيد، الشورى والرابطة العربية...وبذلك أمسك بزمام القيادة الوطنية في الميدان الصحفي.

ثالثا– الآثار الأدبية والفكرية للشيخ الثعالبي (04ن):

ترك الثعالبي رصيدا فكريا وعلميا هائلا، تمثل في **الكتابات الصخفية** في : جريدة **في سبيل الرشاد – الاتحاد الإسلامي**...إلأى جانب جانب مجموعة من المؤلفات في مختلف الفنون:

– **في الدين والتراجم: الروح الحرة للقرآن**"، أصدره بباريس عام 1905م بالعربية؛ بعد نقله إلى الفرنسية من قبل الهادي السبعي وسيراز بن عطار. في هذا الأثر العلمي أبرز المفكر التونسي سماحة الإسلام وتقارب قيمه مع القيم الليبرالية الفرنسية وحتى الكونية مثل: الحرية، التضامن، الأخوة، التسامح، وأولوية العقل على حساب النقل... روح التحرر في القرآن أصدره بباريس عام 1905م بالعربية؛ بعد نقله إلى الفرنسية من قبل الهادي السبعي وسيراز بن عطار.– معجزات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. – محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان * في **العدالة الاجتماعية**: – مسألة المنبوذين في الهند. – الكلمة الحاسمة.

* كما ترك مصنفات **في التاريخ** من أهمها: مقالات في التاريخ القديم.– خلفيات المؤتمر الإسلامي في القدس ، **تونس الشهيدة** الذي يعتبر أول ميثاق للحركة الوطنية، الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأوضاع الجالية التونسية في مصر 1924–1936م. تاريخ الهند. – تاريخ الدولة الأموية، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأغلبية. وفي **الفلسفة** كتاب؛ الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودروس الفلسفة. وفي **الرحلات** كتب الثعالبي: **الرحلة اليمنية**. وآثار أخرى .

خاتمة:

يعتبر الشيخ عبد العزيز الثعالبي بحق الأب الحقيقي للحركة الوطنية التونسي... لم يترك الشيخ بصماته في الحركة الوطنية والفكرية والإصلاحية بتونس فحسب، بل زاد عليها بصمات أخرى في مدونة نهضة العالم الإسلامي العربي مشرقا ومغربا، واحتل مكانا مرموقا في ذاكرته...